أصدقاء فلسطين

السماء مصنوعة من الطائرات/ وثمّة من يضعون قنابلهم مثل البَيض/ بيضة تخطف طفلاً/ وأُخرى تاكل الرّجُل والمرأة/ من السماء/ تهوي فقط/ على الورقة الحمراء/ الورقة الحمراء الطازجة/ إنه يوم من أيام الاسبوع/ الأرض تتبع مدارها/ العالَم يسيرُ على الطريق الصحيح!

ترجمة عن الهولندية:
محمد الأمين الكركي

كلمة قصيدة
للمولودة سارة في غزّة

ليو ستيلما

أنا سارة من غزّة
في الأسبوع التاسع من العمر
قبل ثلاثة أسابيع
أخذني والدي إلى المستشفى
لأنّ تنفّسي كان بطيئاً.
أمطرت قنابل على الطريق.

يقولون الآن إن والدتي
ووالدي وإخوتي جميعاً ماتوا في الطريق
يقولون أيضاً إنّ هناك
مات المزيد من الناس
أكثر ممّن سوف التقي بهم طوال حياتي

وأين الجميع الآن؟
أين الأيدي التي تهزُّني؟
وتلك الأثابيب
التي تُبقيني على قيد الحياة؟
أين تلك الابتسامة فوق سريري؟

اسمي سارة،
في الأسبوع التاسع من العمر
أنا وحيدة
لم أؤذِ أحداً
لا أحد.

■ Leo Stilma شاعر هولندي من مواليد روتردام عام 1953، نشر على نطاق واسع في المجلّات مختارات شعرية وقصائد تدور حول الحبّ والحياة والموت، وبالنسبة له يجب أن تكون مجموعاته الشعرية: «مجزرة الأحجار» (1998)، و«بالكلمة والصورة» (2000)، و«مهما كنت خفيفاً» (2008).

من هنا

ماركو نيميجر

تسقط من يدي
تسقط من الضوء
تحت
لا يوجد شيء لا يُمكننا التعامل معه
ورقة حمراء جديدة
امرأة لم تعُد قادرة على الصُّراخ
فرحة القنبلة
تهوي فقط
قطعة
قطعة
قطعة
في المطر الغُبار
في مطر الصُّراخ
في المطر الذي لن يذهب بعيداً
لا يوجد شيءٌ لا يُمكننا الحصول عليه
السماء مصنوعة من الطائرات
وثمّة من يضعون قنابلهم مثل البَيض
بيضة تخطف طفلاً
وأُخرى تاكل الرَّجُل والمرأة
من السماء

تهوي فقط
على الورقة الحمراء
الورقة الحمراء الطازجة
إنّه يوم من أيام الأسبوع
الأرض تتبع مدارها
العالم يسيرُ على الطريق الصحيح.

■ Marco Nijmeijer شاعر هولندي من مواليد عام 1964. حصل على دكتوراه في الفيزياء من «جامعة ليدن» عام 1990، عن أطروحته: «محاكاة واجهات السوائل». شارك في تأليف حوالي 30 بحثاً علمياً في مجال الفيزياء الإحصائية والعددية، كما شغل مناصب أكاديمية في بلجيكا والولايات المتّحدة وفرنسا وإيطاليا. من مجموعاته الشعرية: «لن يكون هناك حبّ» (1999)، و«سرير من رؤوس الأشجار والطيور» (2007)، و«الكلمات تنمو من الحروف» (2000)، و«لا يُمكن تقبيلك وأنت بلا نفَس وشفتين» (2000)، و«قصائد للقلب» (2006).

كلمة واحدة... السلام

دانيلا روساس

نحن هنا، في روتردام
تحوّلنا إلى حجر
تحوّلنا إلى احتجاجات، إلى لافتات
نحاول إيقاف الصواريخ بالقصائد.
كارواخ متّحدة في ولادة الأمل،
نحاول إيقاظ الوعي،
نُصارع من أجل مفردة واحدة فحسب:
السلام.

■ Daniela Rosas شاعرة من تشيلي تقيم في هولندا. شاركت في العديد من المهرجانات الشعرية في هولندا وأميركا اللاتينية. صدرت لها مجموعة بعنوان: «مديح الحياة»، كما أسّست، عام 2010، مع الشاعر الهولندي ويلي كليس «Atelier Rapa Nui»؛ وهو مسرح مفتوح لكلّ شهر للفنّ والثقافة.

فوق أرض أبي

خوان هاينسون هوالا

أرض جدّي
أرض أجدادي
جاء ناس غرباء من بلاد أُخرى
وبنَوا بيوتهم
وجاء آخرون

أطفالي يركضون داخل الحدود
معسكر اللاجئين
وأنا مُجبرٌ على إخبارهم
أنّ أرض أبي
وجدّي
وأجدادي

لم تعُد لهم
إذا لم تكن تعرف السلام
فكيف يُمكنك زرعُه في قلوب الصغار؟

عودة موسى

لقد شوهد موسى على الجبل
إنه قادم
حاملاً بيده سوطاً
لمعاقبة القتلة

لن يقول كلمة واحدة
القتلة يعرفون كلماته
لكنّهم يُواصلون إخفاء عارهم
بين أحجار الحائط
حيث البكاء الذي لا يريد أحد سماعه:
فلسطيني.

يقولون عاد موسى
ليمسح الدّم عن أشجار الزيتون
لتطهير بيوت النازحين
وتحرير الأطفال من السجون

إنه يعود
حاملاً السوط بيده.

■ Juan Heinsohn Huala شاعر وفنّان تشيلي من مواليد عام 1958. هرب عام 1978 مع والديه إلى الأرجنتين، وبعدها بعام تمّت دعوته وعائلته إلى هولندا كلاجئين سياسيّين. عُمل مسؤولاً عن البرامج الأدبيّة في «مهرجان حديقة الشعر»، الذي أصبح في ما بعد «مهرجان دنيا»، كما ساهم في عدد كبير من الأحداث الشعرية الأخرى كمنظم وصانع برامج. نشر مجموعته الشعرية «الإقامة على الورق» عام 2009. وأسّس في العام نفسه ورشة «السمكة الصغيرة» في روتردام، المُوجّهة للأطفال، والتي لا تزال قائمةً إلى اليوم. حاز، عام 2015، «جائزة Comunidad»، وهي جائزة تقديرية من الجالية التشيلية في هولندا عرفاناً بجهوده في عالم الفنّ والثقافة والتنوّع الثقافي.

ذلك اليوم

مارك بونننسنغا

ذلك اليوم
ذلك اليوم الذي شهدتَ فيه شخصاً آخر
يستخدم الباب الأمامي لدارك.

وحملت قريتك اسماً آخر
غير الذي اعتدتَ عليه طوال حياتك
في ذلك اليوم الذي اختفى صوت الأذان
ولم تجد مقاماً لصلواتك
ولم يعُد بمقدورك أن تسمع كلماتك في بلادك.

ذلك اليوم الذي تعيّن فيه عليك
أن تطلب رُخصة لزيارة مدارك.
والأسلحة تتكدّست في كلّ مكان
ذلك اليوم الذي بدأ عام 1948
إلى زوال ذلك اليوم
مكانه سيحلّ يومٌ آخر
يحمل اسم الفلسطينيّين
يحمل الأحياء والشهداء
يحمل اسم
فلسطين.

■ Mark Boninsegna شاعر ومغنٍّ وصحافي هولندي. يُقدّم بانتظام ورش عمل شعرية في المدارس للأطفال بالضواحي المهمّشة. أسّس عام 2017 مجلّة شعرية بعنوان «A Fetish For Poetry»، كما يُقدّم، منذ حزيران/ يونيو 2021، «بودكاست مدرسة روتردام» المُخصّص لقضايا الشعر.

من تظاهرة مُنَدِّدة بالإبادة الصهيونية في غزّة، روتردام 25 شباط/ فبراير 2024 (Getty)

إطلالة

آرون بوشنل الشهيد رقم 48 في العائلة

نار بروميثيوس

إنّ تضحيتك لتعني مواجهة مدّ كامل من البلهاء الوظيفيين، الذين لن يشعروا بالإهانة والغضب، بل إنهم سيرغبون في إيذائنا أكثر، لأننا لم نشاركهم فكرة العيش خارج الكرامة

باسم النبريص

كان اسمه آرون بوشنل، وكان عمره 25 عاماً. ومن خلال الوصيّة التي أرسلها ذلك الصباح، أعطى مدّخراته لمنظمة صندوق إغاثة أطفال فلسطين: حرفياً، صندوق إغاثة أطفال فلسطين (الذين قُتل منهم حتى كتابة هذا السطر أزيد من 13 ألفاً، ولا أحد يعرف بالضبط عدد المصابين بينهم).

كان أوصى بنثر رماده في فلسطين الحرّة، إذا كان هناك شيءٌ من هذا القبيل (ولسوف يكون يا بوشنل، بإذن الله الحقيقي الذي كنتَ تؤمن به، وبإذن مقاوميّنا، الذين يعيشون على حبّة التمر، منذ 160 يوماً).

لقد مشى قليلاً، والعالم يرى، ثم رمى الهاتف الخليوي على الإسفلت، ووقف أمام سفارة القتلة، ليُفرغ محتويات قنينة بلاستك فوق رأسه - كانت زجاجة ماء، لكنّ السائل كان قابلاً للاشتعال - وأضرم النار.

وبينما كانت نار بروميثيوس المقدّسة تلتهم المادّة البشرية القابلة للفناء، صرخ الفتى عدّة مرات: «فلسطين حرّة»، «حرّروا فلسطين»، حتى لم يعد يحتمل، وسقط على الأرض.

قبل ذلك بوقت قصير، في الأوّل من كانون الأول/ ديسمبر عام 2023، قامت امرأةٌ لا تزال مجهولة الهوية (ملفوفة بالعلم الفلسطيني)، بحرق نفسها خارج قنصلية القتلة في أتلانتا، جورجيا.

طبعاً، استخدمت صحافة البروباغندا في كلّ بلد على جانبي الأطلسي، طفّايات الحريق الموجودة تحت تصرّفها، لمنع انتشار الخبر.

ولقد تابعتُ، لعدة أيام، كيف بالكاد تمّ الحديث عن قربان الحرية الجديد. وكيف تجاهلته الصحف الكُبرى، أو تمّ الحديث عنه بعبارات مُلطّفة، على الصفحات الداخلية منها. وبطبيعة الحال، فقد استمرت مناقشة صحّته العقلية على الشبكات، حتى وُصم الحدث الجليل برذيلة الانتحار «واضحاً وبسيطاً».

ومع ذلك، ظهرت الأمّ على الشبكات لتُلقي بظلالها على الصحة العقلية لابنها القتيل، وانتهزت الفرصة لتقول إنّها وزوجها مسيحيان مُخلصان للكتاب المقدس، وإنهما يقفان إلى جانب العدو قلباً وقالباً.

إنّها طريقة لخلط المقدّس بالأشد دناسة، وطريقة أيضاً لخفض السعر، وإبطال عملية التضحية، بحيث تحدث ضجّة أقلّ في المجالَين السياسي والاجتماعي.

لقد بكيت عليك، تماماً كما بكيت على 47 شهيداً من الأحباب.

يا بوشنل: أنت الشهيد رقم 48 في العائلة.

حتى لو صرت وصاروا رماداً، وهو أمر قريب التوقّع، فلن يخلّصنا مالُ الرماد من حب لا يتزعزع تجاهكم، أنتم أولاء الذين يموتون من أجل حياة الآخرين.

إنّها المفارقة المُفجعة لعالَمٍ ماديٍّ حدّ الوضاعة، حيث يجب على الأفضلين أن يُقتلوا أنفسهم، لتشجيع اللامبالين على اختيار الحياة.

إنّ تضحيتك لتعني مواجهة مدّ كامل من البلهاء الوظيفيين، الذين لن يشعروا بالإهانة والغضب، بل إنهم سيرغبون في إيذائنا أكثر، لأننا لم نشاركهم فكرة العيش خارج الكرامة والأصالة.

لقد بكيت عليك، تماماً كما بكيت على 47 شهيداً من الأحباب

دون أن نكون جزءاً مما يُدمّر ويقتل ويستبعد ويهاجم بلا داع. كم يبدو أنّ نبوءة «ببرك» قد تحققت، حين قال إنّ الشيء الوحيد الضروري لانتصار الشر أن يجلس البشر المحترمون ويشاهدوا الفوضى، دون أن يفعلوا أي شيء.

لا غرو أن بقاءنا غير مبالين بالشرّ يجعلنا شركاء مباشرين له.

يا بوشنل: كلّ انتحار هو حكم على النفس الطيبة، ولكن ايضاً على خراب الجنس البشري.

كل انتحار هو نبذ للعالم الخسيس، ومع ذلك فهو في بعض الأحيان أقوى طريقة للتدخل فيه.

يا بوشنل: لتنسَني عيوني، لو نسيتك حتى أموت.

(شاعر من فلسطين مقيم في بلجيكا)

متظاهرون في تايوان يرفعون صورة آرون بوشنل، تضامناً مع فلسطين، وتنديداً بالسياسة الأميركية، 7 آذار/ مارس 2024 (Getty)

قراءة

الخرز الملوَّن عودة سرديّة إلى جاكلين خوري

قوّة الحكاية التي تعيش وتُروى

يستلهم الكاتب المصري محمد سلماوي في روايته، الصادرة بطبعة جديدة، حياة الصحافية الفلسطينية كنموذج تتكثّف فيه مأساة شعب يهجّر من بلاده

سومر شحادة

نقرأ في رواية «الخرز الملوَّن» للكاتب المصري محمد سلماوي (1945) وصفَ الإبادة، وصفَ الخوف الذي تُسبّبه الإبادة، وهو خوف لا يُشبه خوفاً سواه، لأنّه خوف جماعي، مرتبط بفناء جنس، بفناء جماعة. وهو في الرّواية وفي الواقع خوف يتهدّد الشعب الفلسطيني بأكمله. ولو أنّ الرّواية الصادرة عام 1990 تتحدّث عن مجازر رافقت نشأة كيان الاحتلال في دير ياسين ويافا، إلاّ أنّ حرب الإبادة التي يشنّها قتلة الأطفال على أهالي غزّة اليوم، تُشير إلى الرّمن الفلسطيني على أنّه زمن المذبحة، زمن متصلٌ بدأ بالقتل، واستمرّ بالقتل، ولا يوجد في أفاقه وضوحٌ سوى للقتل. الرّواية التي صدرت طبعتُها الجديدة عن «دار ديوان»، تستلهم الحياة المُضطربة الحافلة التي عاشتها الشاعرة والصحافية الفلسطينية جاكلين خوري (1925 - 1980) التي وُلدت في منزل على جبل الكرمل يطلّ على بحر حيفا، ورحلت منتجرةً في القاهرة، وقد رمت نفسها عن شُرفة الطابق الثالث لأحد المستشفيات. وبين لحظتَي الحياة؛ الهانئة في فلسطين، والموت انتحاراً في القاهرة، جرى ماءٌ كثير في نهر الزمن الفلسطيني الذي تمثّله روائيّاً حكاية نسرين حوري، أيّما تمثيل، بما في الحكاية من تداخُل فلسطيني مصري. يعرضُ النصّ في لحظات اختارها الكاتب ليقرأ المحطّات الرئيسية في ما يسمى الصراع العربي الإسرائيلي.

الرّوايةُ مكتوبة على امتداد خمسة أيام، تبدأ مع النكبة وتستمرّ مع ثورة «الضبّاط الأحرار» في مصر، والوحدة مع سورية، إلى الحرب الأهلية اللبنانية، وأخيراً مع «اتفاقية كامب ديفيد». هذه التواريخ ترسم مسار الرّواية، وهي روايةٌ في السياسة بقدر ما هي رواية اجتماعية؛ عن ابنة رئيس «بلدية يافا»، نسرين، التي تقرّر الزّواج من شابّ عنوةً عن أبيها، وتستقرّ في القدس.

ثمّ مع انتشار عمليات الإرهاب الصهيوني، وإبان النكبة، تخرج مع والدتها من فلسطين، تُقتل والدتها عند الحدود. تصل إلى القاهرة، وفي داخلها تشتغل المأساة، مأساتها الشخصية بخسارتها والدتها، وبانكشاف طبيعة زوجها الذي شرعان ما تخلّى عنها، ولاحقاً خطف ابنها منها، ومأساة شعبها الذي هُجّر من أرضه.

ونسرين هنا، تمثيلٌ لفلسطين في تحوّلاتها وفي اضطرابها، في امتلائها بالخيبة، وفي شعورها الدّائم بأنّها على وشك الوقوع في خديعة ما. خلال عملها في صحيفة «الأهرام»، ومع اختلاف سياسات الجريدة التحريرية باختلاف الرئاسة المصرية، واختلاف السياسة المصرية بصورة عامة؛ صارت الكاتبة الفلسطينية مقياساً لسياسة التحرير. إذ طُلب إليها الابتعاد عن السياسة في عهد الملك، ثمّ صارت مُحرّرة في القسم السياسي في عهد الثورة، وأخيراً طُلب إليها أن تكتب مقالاً تمتدح فيه زيارة السادات إلى «إسرائيل»، لكنها لم تفعل... بهذه الصورة، فإنّ حياة نسرين حياةٌ مُختطَفة، منذ البدء مع الاحتلال، ثمّ مع سياسات الآخرين تجاه مأساة شعبها. وإن ينتهي مشوار عيشها، اكتئاباً، ثمّ انتحاراً؛ أقلّ مراراً من وفاة أبيها، رئيس «بلدية يافا»، الذي حمل عاملُ النظافة جثّته على كتفه، بينما القمامة في يده.

بهذه القسوة، بهذه الدلالة القاسية؛ يظهر مصير الفلسطينيّين. والرّواية التي تحمل عنواناً دالاً على المجوهرات التي كان الرّجل الأبيض يعطيها للرّجل الأفريقي، مقابل ثروات بلده؛ إنّما تعرض مجموعة من الرموز الواضحة التي لا تخفي نفسها، ولا تتوارى، فهي تروي جانباً من حكاية لا تخفي نفسها، ولا تتوارى، إنّها تروي جانباً من مجزرة صار لها عقودٌ تُنقل على الهواء.

حتّى إنّ الصهاينة نشروا في لافتات بالقدس تفاصيل جريمتهم في دير ياسين، كي يدفعوا العرب إلى مغادرة بيوتهم. وربّما لمرّات قليلة في تاريخ الإنسانية، يواجه شعبٌ قاتلاً يُشهر جرائمه، ينشرها في أزقّة القدس قديماً، وعبر منصّات الإعلام كلّها اليوم. وقد صوّر الصهاينة في الأيام الفائتة قصفهم لفلسطينيّين يجمعون المساعدات من غير أن يستطيع أحدٌ إيقافهم؛ القاتل طليقٌ في عالم اليوم، ولا أحدٌ يضع الأغلال في يديه. فقط، تعترضه قوّة الحكاية التي تعيش وتُروى، وتقرّ مرّات ومرات.

(روائي من سورية)

وُلدت في منزل
على جبل الكرمل ورحلت
منتحرة في القاهرة

أطفال يُعتقون «فوانيس رمضان» بين خيام النازحين في دير البلح، 10 آذار/ مارس 2024 (Getty)

فعاليات

ضمن فعاليات الدورة الثانية والعشرين من **مهرجان الفيلم والمنتدى الدوليّ بشأن حقوق الإنسان** في جنيف، يُعرض عند السادسة والنصف من مساء بعد غدٍ السبت فيلم **الأستاذ** (2023)، للمخرجة الفلسطينية **فرح النابلسي**، الذي يروي قصة مدرّس فلسطيني ونقاشاته مع طلّابه حول واقع الحياة تحت الاحتلال.

يقيم الموسيقي اللبناني **زياد سحّاب** وفرقته، عند التاسعة والنصف من مساء غدٍ الجمعة، في متحف «قصر دبانة» بمدينة صيدا اللبنانية، حفلا بعنوان **قمر يافا**. يشارك في الحفل الذي تستهلّه الفرقة باغنية **قمر مولود في يافا** للشاعر المصري الراحل **عبد الرحمن الأبنودي**، كلّ من: **فؤاد عفرا** (درامز)، و**مكرم أبو الحسن** (كونترباص)، و**خليل البابا** (كمنجة)، و**إيلي تومية** (كيبورد).

حتى الثلاثين من الشهر الجاري، يتواصل في «غاليري M7» بالدوحة معرض **الوان المدينة: قرنٌ من العمارة في الدوحة**، الذي افتتح في الرابع والعشرين من الشهر الماضي. يتضمّن المعرض نماذج ثلاثية الابعاد وصوراً ومقابلات وفيلماً حول **النسيج المعماري في العاصمة القطرية** منذ عشرينيات القرن الفائت وحتى اليوم.

الحرب على غزّة.. مجزرة البيئة، عنوان الندوة الرقمية التي تنظّمها «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» عند الواحدة من بعد ظهر اليوم الخميس بمشاركة الباحثين **جورج كرزم** و**مجدي المالكي**. تناقش الندوة تدمير العدوان الإسرائيلي للبنية التحتية والموارد المائية واستنزافه المياه للجوفية وامدادات الطاقة.